



يا عمال العالم، اتحدوا!

# طريق البلشفية



لينين

حول مقال «خطار في الثورة»

30 تشرين الثاني 1915

ترجمة

محمد علي العربي

نشر في النشرة البلشفية العربية

الفيروان، آب 2015

المصدر المعتمد في الترجمة

On the Tow Lines in the Revolution

LENIN: CW, 21: 415-422, 2<sup>nd</sup> Ed.,

Progress Publishers, Moscow, 1974,

يحاول السيد بليخانوف، في جريدة «النداء»<sup>1</sup> (عدد 3)، أن يتناول المشكل النظري الأساسي للثورة المقبلة في روسيا. فيقتبس لذلك مقتطفاً لماركس مفاده أنّ ثورة 1789 الفرنسية قد اتبعت خطأ تصاعدياً، في حين اتبعت ثورة 1848 خطأ تنازلياً. ففي الحالة الأولى انتقلت السلطة تدريجياً من الحزب المعتدل إلى الحزب الأكثر راديكالية - الدستوريون، الجيرونديون، اليعاقبة. أمّا في الحالة الثانية فحدث عكس ذلك - الطبقة العمالية، الديمقراطيون البرجوازيون الصغار، الجمهوريون البرجوازيون، نابليون الثالث. ويستنتج كاتبنا أنّ "من الأفضل أن تسلك الثورة الروسية خطأ تصاعدياً كاملاً"؛ أي أن تنتقل السلطة أولاً إلى الكاديت<sup>2</sup>

---

<sup>1</sup> النداء - جريدة أسبوعية أصدرها المناشفة والاشتراكيون الثوريون في باريس من تشرين الأول 1915 إلى آذار 1917. والمرجع هنا يشير إلى مقال بليخانوف عنوانه «خطأ في الثورة» نشر في الجريدة المذكورة في 17 تشرين الأول 1915 ❁

<sup>2</sup> الكاديت - تطلق هذه التسمية على أعضاء الحزب الدستوري الديمقراطي وهو الحزب الرئيسي للبرجوازية الملكية الليبرالية في روسيا. تأسس عام 1905 ومثّل البرجوازية والرّعاء المالكين العقاريين والمتقنين البرجوازيين. وضمت صفوفه الأولى كلّاً من مليونوف وميرومتسيف ومككوف وشنغريوف وستروفه وروديتشيف. لقد نشط الكاديت كثيراً في التحضيرات الروسية للحرب. ومع نشوب الحرب رفع الكاديت شعار "الحرب حتّى النهاية المظفرة!". ولما منيت القوات القيصرية بالهزيمة عام 1915 واشتدّت الأزمة الثورية ألفت فرقة نواب الكاديت في الدوما تكتلاً

ثم إلى الأكتوبريين<sup>3</sup> ثم إلى الترودوفيك<sup>4</sup> ثم إلى الاشتراكيين. فما نستخلصه طبعاً من هذا المنطق هو أن الجناح اليساري كان عديم الحذر لما لم يساند الكاديت وتسرع في معاداته.

إن منطق السيد بليخانوف "التطري" هو مثال آخر على إحلال الليبرالية محلّ الماركسية. فالسيد بليخانوف يحتزل القضية في معرفة أيّ "المفهومين الاستراتيجيين" المقدمين "صحيح" وأيّها خاطئ. لقد كان منطق ماركس مختلفاً. فقد سجل واقعا: فقد سلكت الثورة طريقاً مختلفة في كلّ حالة. ولم يبحث عن تفسير ذلك الاختلاف في "المفاهيم الإستراتيجية".

---

"تقدمياً" يرمي إلى تصحيح الثورة وحماية الملكية ومواصلة الحرب "حتى نهاية مظفرة" ❀

<sup>3</sup> الأكتوبريون - أعضاء «اتحاد السبع عشر من أكتوبر». وهو حزب تألف في روسيا اثر صدور إعلان القيصر في 17 تشرين الأول 1905. كان حزبا مضادا للثورة يمثل مصالح البرجوازية الكبيرة والمالكين العقارين الذين انتقلوا إلى أشكال الملكية الرأسمالية. ونذكر من زعمائهم السيد أ. إ. غوشكوف وهو صناعي كبير مشهور والسيد م. ف. رودزيانكو وهو مالك عقاري كبير. لقد ساند الأكتوبريون بقوة سياسة الحكومة القيصرية في الداخل والخارج ❀

<sup>4</sup> الترودوفيك - فرقة من الديمقراطيين البرجوازيين الصغار في الدوما مؤلفة من فلاحين ومثقفين ذوي توجه شعبي. لقد تألفت هذه الفرقة في نيسان 1906 من نواب للفلاحين للدوما الأول. وكان الترودوفيك يتأرجحون في الدوما بين الكاديت والاشتراكيين الديمقراطيين. ولقد اتخذ معظم الاشتراكيين الثوريين والاشتراكيين الشعبيين والترودوفيك موقفا اشتراكيا شوفينيتا أثناء الحرب العالمية الأولى ❀

سيكون من السذاجة، ومن وجهة النظر الماركسيّة، أن نبحث عنه في المفاهيم. إذ يجب أن نبحث عن ذلك في تنوع ما تتخذته الطبقات من مواقع. ولقد كان ماركس ذاته كتب ما مفاده أنّ البرجوازية قد اتّحدت مع الفلاحين عام 1789، وأنّ الديمقراطيّة البرجوازية الصّغيرة قد خانت الطبقة العماليّة عام 1848. والسيد بليخانوف يعلم رأي ماركس في القضية لكنّه لا يذكره لأنّه يريد أن يقدّم لنا ماركس بهيئة ستروفه.

كان الأمر في فرنسا في عام 1789 يتعلّق بالإطاحة بالحكم المطلق والتبلاء. وفي ظلّ مستوى التطوّر الاقتصادي والسياسي وقتئذ كانت البرجوازية تنمو منسجمة ومصالحها وليس لديها خوف على استقرار سلطتها وكانت مستعدّة لعقد تحالف مع الفلاحين. وكان ذلك التحالف قد أدّى إلى انتصار الثّورة انتصاراً تاماً. وفي عام 1848 كان الأمر يتعلّق بأن تطيح الطبقة العماليّة بالبرجوازية. وكانت الطبقة العماليّة عاجزة عن كسب البرجوازية الصّغيرة، وكانت خيانة هذه الأخيرة قد أدّت إلى هزيمة الثّورة. كان الخطّ الصّاعد عام 1789 شكّل ثورة انتصرت فيها جماهير الشعب على الحكم المطلق. والخطّ التنازلي عام 1848 كان قد شكّل ثورة جرت فيها خيانة الطبقة العماليّة من جانب جماهير البرجوازية الصّغيرة فكانت هزيمة الثّورة.

إنّ السيد بليخانوف يحلّ المثاليّة المبتدلة محلّ الماركسيّة عندما يختزل القضية في أحد "المفهومين الاستراتيجيين" وليس في ما تتخذه الطبقات من مواقع.

إنّ تجربة ثورة 1905 وما تلاها من مرحلة ثورة مضادة في روسيا تعلّمنا أنّ من الممكن أن نلاحظ في بلادنا خطّان للثورة حيثما كان هناك صراع بين طبقتين، بين الطبقة العمالية والبرجوازية الليبرالية، في سبيل قيادة الجماهير. فالطبقة العمالية تتقدّم على نحو ثوري وتجّر الفلاحين الديمقراطيّين نحو الإطاحة بالحكم الملكي والمالكيين العقاريّين. أمّا أن يكون الفلاحون قد أظهروا نزوعاً ثورياً بالمعنى الديمقراطيّ فذلك أمر قد أثبتته على نطاق واسع جميع الأحداث السياسيّة الكبرى: الانتفاضات الفلاحية سنتي 1905 و1906، الاضطرابات في الجيش في نفس السنوات، «اتّحاد الفلاحين» سنة 1905، ومجلسي الدوما الأوّلين حيث لم يكن فلاحو الترودوفيك «على يسار الكاديت» فحسب بل كانوا أيضاً أكثر ثورية من المتقنين الاشتراكيين الثوريّين والترودوفيك. ففي كلا دوما الدولة الثالث والرابع أظهر فلاحو الترودوفيك، رغم ضعفهم، كيف أنّ الجماهير الفلاحية قد وقفت ضدّ المالكيين العقاريّين. من المؤسف أن يُنسى ذلك، لكنّه واقع.

إنّ الخطّ الأوّل في الثورة الديمقراطيّة البرجوازية الروسية، مستخلصاً من الوقائع لا من الثّرة «الإستراتيجيّة»، كان تميّز بنضال الطبقة العمالية نضالاً حازماً لكنّ الفلاحين لم يكونوا حازمين في السير وراءها. وكلتا الطبقتان كانتا تناضلان ضدّ الأوتوقراطيّة وضدّ المالكيين العقاريّين. وإنّ افتقار هاتين الطبقتين للقوّة والحزم كان قد أدّى إلى هزيمتهما (رغم ما أحدثناه من شرح في المؤسّسة الأوتوقراطيّة).

أمّا الخطّ الثاني فقد تمثّل في سلوك البرجوازية. ولقد كنا نحن البلاشفة قد أكّدنا، منذ ربيع 1906 بوجه خاص، أنّ هذا الخطّ كان يمثله الكاديت

والأكتوبريون كقوة واحدة. ولقد أكدت حقبة 1905-1915 صحة وجهة نظرنا. ففي أوقات الصراع الفاصلة، كان الكاديت والأكتوبريون يجنون الديمقراطية ويفضلون عون القيصر والملكين العقاريين. لقد تميّز الخطّ «الليبرالي» في الثورة الروسية بالطابع «السلمي» والمتجزئ للتّصال الجماهيري حتى يتسنى للبرجوازية أن تعقد السّلم مع الأوتوقراطية. والسّياق العالمي للثورة الروسية وقوة الطبقة العالّية الروسية جعلوا سلوك الليبراليين ذاك حتمياً.

لقد ساعد البلاشفة الطبقة العالّية بوعي على إتباع الخطّ الأوّل والتّضال بشجاعة قصوى وقيادة الفلاحين. أمّا المناشفة فقد انزلقوا باستمرار في الخطّ الثّاني. فقد أضعفوا عزيمة الطبقة العالّية بملائمة حركة هذه الأخيرة لليبراليين - من السّعي للدّخول في دوما بولغين (آب 1905) إلى مكتب الكاديت عام 1906 والتكتّل مع الكاديت ضدّ الديمقراطية عام 1907. (يجب أن نلاحظ بين قوسين، من وجهة نظر بليخانوف، أنّ «المفاهيم الإستراتيجية الصّحيحة» عند الكاديت والمناشفة قد منيت بفشل وقتئذ. لم كان الأمر كذلك - لأنّ الجماهير لم تأخذ في الحسبان نصائح بليخانوف الحكّمة التي كان قد نشرها الكاديت على نطاق أوسع بمئات المرات مما نشر البلاشفة)؟

فقط هذان الاتّجاهان - البلشفي والمنشفي - هما اللّذان ظهرا في سياسة الجماهير في سنوات 1904-1908 ثم في سنوات 1908-1914. لم كان الأمر كذلك؟ لأنّهما الاتّجاهان الوحيدان اللّذين لهما جذور طبقيّة صلبة - الجديد كان عند الطبقة العالّية والقديم كان عند البرجوازية الليبرالية.

واليوم نتقدّم مرّة أخرى نحو الثّورة. والجميع يرى كفوستوف نفسه يقول أنّ مزاج الفلاحين يذكّرنا بما كانوا عليه في 1905-1906. فضلا عن ذلك، نرى نفس الخطّين في الثّورة، ونفس المواقع التي تتخذها الطبقات، ولم يمّسها إلاّ الوضع العالمي المتغيّر. وفي عام 1905، ساندت البرجوازية الأوروبيّة بأسرها القيصريّة وقدمت لها العون، سواء كان ذلك بمئات الملايين (فرنسا)، أم بتكوين جيش مضادّ للثّورة (ألمانيا). وفي 1914، نشبت الحرب في أوروبا. وفي كلّ مكان هزمت البرجوازية الطبقة العماليّة مؤقتا، وأغرقتها في موجة النزعة القوميّة والشّوفيّتيّة. في روسيا، مثلما كان عليه الحال من قبل، كانت جماهير البرجوازية الصّغيرة من السكّان، وفي مقدّمها الفلاحون، تؤلّف أغلبيّة السكّان. لقد كانوا مضطّهدين، قبل كلّ شيء وأساسا، من المالكين العقاريّين. من النّاحية السياسيّة، كان جزء منهم في سبات، وجزء آخر كان يراوح بين الشّوفيّتيّة («هزم ألمانيا»، «الدّفاع عن أرض الوطن») والروح الثّوريّة. وكان النّاطق السياسي باسم تلك الجماهير - وتلك المراوحت -، من جهة أولى، التارودنيك (الترودوفيك والاشتراكيون الثّوريّون)، ومن جهة ثانية، كان هنالك الاشتراكيون الديمقراطيّون الانتهازيّون (جريدة «قضيتنا»<sup>5</sup>، بليخانوف،

---

<sup>5</sup> قضيتنا - جريدة شهرية عند المناشفة التّصفويين؛ منبر الاشتراكيين الشّوفيّين في روسيا. بدأ صدورها في بتروغراد عام 1915 لتعوّض جريدة «فجرنا» التي أوقفت في تشرين الأوّل عام 1914 ❁



مجموعة شيخادز<sup>6</sup>، اللجنة التنظيمية<sup>7</sup>، الذين ساروا بحزم، منذ 1910، في طريق السياسة العاليتة الليبرالية، والذين انتهوا في سنة 1915 إلى ما لكل من بوترسوف وشيرفانين وليفتسكي ومسلاف من اشتراكية شوفينية، أو طلبوا «الوحدة» معهم.

هذا الوضع، يبرز بوضوح مهمّة الطبقة العاليتة. تلك المهمّة هي قيادة أشجع نضال ثوري ضدّ الحكم المطلق (مستخدمة شعارات مجلس كانون الثاني 1912، و«الأعمدة الثلاثة»<sup>8</sup>)، نضالاً تجرّ فيه كلّ الجماهير الديمقراطية وعلى رأسها الفلاحين. ويجب على الطبقة العاليتة، في ذات الوقت، أن تخوض نضالاً لا رحمة فيه ضدّ الشوفينية، نضالاً في سبيل الثورة الاشتراكية في أوروبا بالتحالف مع الطبقة العاليتة الأوروبية. إنّ تردّد البرجوازية الصغيرة ليس صدفة بل محتوم، لأنّه ناتج عن موقعها الطبقي. لقد شدّدت أزمة الحرب العوامل الاقتصادية والسياسية التي تدفع

---

<sup>6</sup> مجموعة شيخادز - الفرقة المنشقية في الدوما الرابع ويتزعمها ن. س. شيخادز. اتخذت الفرقة موقفاً وسطياً أثناء الحرب العالمية الأولى، لكنّها في الواقع كانت تقدّم دعمها لسياسة الاشتراكيين الشوفينيين الروس ❀

<sup>7</sup> اللجنة التنظيمية - المركز المنشفي الموجه. تألّفت خلال ندوة عقدها المناشفة التصفويين وجميع الفرق والاتجاهات المعادية للحزب في آب 1912. ودامت حتّى انتخاب لجنة مركزية للحزب المنشفي في آب 1917 ❀

<sup>8</sup> الأعمدة الثلاثة - جمهورية ديمقراطية، مصادرة الملكيات العقارية، يوم عمل من ثماني ساعات ❀

البرجوازية الصغيرة، بما فيها الفلاحين، نحو اليسار. وإن في ذلك يكمن الأساس الموضوعي لإمكانية انتصار الثورة الديمقراطية انتصارا كاملا في روسيا. وليس ضروريا هنا أن نبرهن على أن الظروف الموضوعية في أوروبا قد تهيأت لثورة اشتراكية، فذلك كان قد قبل به قبل الحرب كل الاشتراكيين التافذين في كل البلدان المتقدمة.

إن تحديد مواقع الطبقات في الثورة المقبلة هو المهمة الرئيسية عند الحزب الثوري. وهذه المهمة قد تغاضت عنها اللجنة التنظيمية التي لا تزال في روسيا حليفا وفتيا لجريدة «قضيتنا» وتطلق في الخارج جملا «يسارية» جوفاء. فهذه المهمة يتناولها تروتسكي على نحو خاطئ في جريدة «كلمتنا»<sup>9</sup>. فهو يكرر ما كان له من نظرية عام 1905 دون أن يكلف نفسه عناء التفكير في الأسباب التي جعلت الحياة خلال عشر سنوات تتجاوز نظريته الجميلة.

إن نظرية تروتسكي تستعير في الأصل من البلاشفة دعوتهم إلى أن تناضل الطبقة العاملة نضالا حاسما من أجل أن تفتك السلطة السياسية، وتستعير من المناشفة «نفيهم» لدور الفلاحين. فربما انقسم الفلاحون شراخ، وتمازوا، وأصبحوا، شيئا فشيئا، غير قادرين على لعب دور ثوري؛ فتورة «وطنية» في روسيا إنما هي أمر مستحيل. «نحن نعيش

---

9 كلمتنا - جريدة يومية منشوية تروتسكية صدرت في باريس من كانون الثاني 1915 إلى أيلول 1916 لتعوض جريدة «الصوت» ❖

عصر الإمبريالية“، لكن ”ليس في الإمبريالية تعارضا بين الأمة البرجوازية والتظام القديم، بل فيها تعارضا بين الطبقة العالّية والأمة البرجوازية“.

لدينا هنا مثال على التلاعب بكلمة ”إمبريالية“ يبعث على الضحك! فلما كانت الطبقة العالّية في روسيا تعارض ”الأمة البرجوازية“، فذلك يعني أنّ روسيا على عتبة ثورة اشتراكية!! لذا، فشعار ”تأميم أراضي المالكين العقاريين“ (الذي كرره تروتسكي عام 1915 بعد أن قام بذلك بعد مجلس كانون الثاني عام 1912) شعار غير صحيح، ويجب علينا أن نتحدّث لا عن حكومة ”عمالّية ثورية“ وإنما عن حكومة ”عمالّية اشتراكية“!! إلى أيّ درجة من التثويش يبلغ تروتسكي في جملته التي يقول فيها أنّ الطبقة العالّية ستجرّ معها، أيضا، الجماهير الشعبيّة غير العالّية! (العدد 217). فلم يذهب في بال تروتسكي أنّه إذا ما جرّت الطبقة العالّية معها الجماهير غير العالّية في البلاد في سبيل تأميم أراضي المالكين العقاريين والإطاحة بالأوتوقراطيّة فسيكون ذلك بمثابة إتمام ”الثورة الوطنيّة البرجوازية“ في روسيا، بمثابة دكتاتوريّة العمال والفلاحين الديمقراطيّة الثوريّة!

إنّ عقدا بأكمله، العقد العظيم 1905-1915، قد برهن على أنّ هناك خطّان طبقيّان فقط في الثورة الروسيّة. لقد شدّد تمايز الفلاحين الصّراع الطبقيّ صلبيهم وأيقظ عديد العناصر الخاملة إلى الحياة السياسيّة وجعل عمال الرّيف أقرب إلى عمال المدينة (لقد أكّد البلاشفة، منذ 1906، على تنظيم العمال الزراعيّين في منظمات مستقلّة، وأضافوا هذا المطلب في قرار المؤتمر المنشفي في ستوكهولم). لكنّ التناحر فيما بين «الفلاحين» من جهة وماركوف-رومانوف-خوستوف، من جهة أخرى، قد أضحى عظيما وأكثر

تطوّرا وأكثر حدّة. إنّ هذه الحقيقة على درجة من البداهة حتّى أنّ آلاف الجمل في العشرات من مقالات تروتسكي في باريس لا تستطيع أن ترفضها. إنّ تروتسكي يقدّم العون في الواقع للسياسيين العماليين اللبراليين في روسيا الذين يفهمون من "نفي" دور الفلاحين رفض دفع الفلاحين إلى الثّورة.

لكن ذلك هو بيت القصيد اليوم. تناضل الطبقة العماليّة، وستناضل، بكلّ شجاعة، في سبيل كسب السّلطة، في سبيل الجمهوريّة، في سبيل تأميم الأرض؛ أي لجّر الفلاحين واستخدام كامل قوتهم الثّوريّة، لإشراك "الجماهير الشّعبيّة غير العماليّة" لتحرير روسيا البرجوازيّة من "الإمبرياليّة" الإقطاعيّة-العسكريّة (القيصريّة). وتحرير روسيا البرجوازيّة من القيصريّة وسلطة المالكين العقاريّين ستضعه الطبقة العماليّة، فورا، لا في خدمة مصلحة الفلاحين الميسورين الذين يناضلون ضدّ العمال الزراعيّين بل في صالح إتمام الثّورة الاشتراكية بالتّحالف مع عمال أوروبا.

